أعظم عجل توازني

الطبيعة والاقتصاد العالمي

مقال يستند إلى حوار بين
ديفيد آتنبره وكريستين لاغارد

في الطبيعة، كل شيء مترابط. ويصدق هذا الأمر بقدر متساوٍ على البيئة السليمة وعلى الاقتصاد السليم. فلا يرجى الحفاظ على الحياة دون الاعتناء بالطبيعة، كما أننا بحاجة لاقتصادات سليمة لانتشال البشر من ربقة الفقر وتحقيق «أهداف التنمية المستدامة» التي وضعتها الأمم المتحدة.

وفي نموذج حياتنا الحالي، يبدو أن هذين الهدفين يتعارضان في بعض الأحيان، وتميل مساعينا الاقتصادية إلى انتهاك حرمة الطبيعة. لكن الطبيعة — أي المناخ المستقر، والمياه العذبة الآمنة، والغابات، وغير ذلك من الموارد الطبيعية — هي الأساس الذي يقوم عليه أي نشاط اقتصادي. ولن يستقيم الأمر بتحقيق هدف دون الآخر. فليس بإمكاننا تحقيق التنمية البشرية طويلة الأجل بدون مناخ مستقر وطبيعة تتمتع بالصحة.

انقطاع الصلة

خلاصة القول إننا عندما نلحق الضرر بعالم الطبيعة فإننا نضرُّ بأنفسنا. وقد بات مستقبلنا مهددا بشكل مباشر تحت تأثير بصمتنا الاقتصادية المتنامية. وتشير بعض التقديرات إلى أن أكثر من ٥٠٪ من سكان العالم يعيشون حاليا في مجتمعات حضرية، مما يزيد من احتمالات انقطاع صلة الناس بالطبيعة.

ومع الارتفاع المتوقع في مناسيب مياه المحيطات وازدياد متوسط درجات حرارة كوكب الأرض، فإن مساحات كبيرة من الأراضي، بل بلدانا بأكملها، ستصبح غير صالحة للسُكنى، مما سيؤدي إلى هجرة جماعية يحفزها تغير المناخ. ولم يكن فهم كيفية تطور عالم الطبيعة ولا ما ينبغي أن نفعله للحفاظ عليه أهم في أي وقت مضى مما هو عليه الآن.

ومن أولى الخطوات المهمة في هذا الصدد الإقرار بأن الهدر هو العدو. فهدر الطعام أو الطاقة أو الموارد يتعارض تماما مع الاستدامة. وإنتاج المواد البلاستيكية التي سينتهي بها الأمر كنفايات يعد هدرا، وخاصة عندما تتسبب في تلويث بحارنا. فإذا استطعنا الحياة مسترشدين بالوصية البسيطة القائلة «لا ضرر ولا ضرار»، سواء على مستوى الفرد أو مستوى الأعمال والاقتصادات، سيكون بإمكاننا جميعا أن نُحْدث فرقاً. فالاستهلاك المفرط والإنتاج غير القابل للاستدامة يعرضان كوكب الأرض لخطر كبير.

ارتباط طبيعي

لما كان عالم الطبيعة وعالم الاقتصاد مترابطين، فسوف تسري عليهما ذات المبادئ.

ففي عالم المال، مثلا، نحن لا نسرف في استخدام رأس المال حتى ينضب، خشية أن يقودنا ذلك إلى الدمار المالي. ومع ذلك فقد فعلنا ذلك مرارا وتكرارا في عالم الطبيعة مع الثروة السمكية والغابات، وغير ذلك من الموارد الطبيعية — ووصلنا في بعض الحالات إلى حد إفنائها. ولا بد لنا إذاً من التعامل مع عالم الطبيعة مثلما نتعامل مع عالم الاقتصاد — أي بحماية رأس المال الطبيعي حتى يستمر في إمدادنا بالخيرات لفترة طويلة في المستقبل.

ويدرك خبراء الاقتصاد أهمية هذا الأمر — أي أهمية الحد من الهدر، والاستفادة من فرص تحقيق الكفاءة، والحرص على أن تكون الأسعار انعكاسا دقيقا للتكاليف، بما في ذلك التكاليف التي تتحملها مواردنا المشتركة بأكملها، أي البيئة.

وبإمكاننا اتخاذ الخطوة المهمة المتمثلة في ضمان ألا تكون أسعار الطاقة المستمدة من الوقود الأحفوري معبِّرة عن تكاليف إنتاجها فحسب بل عن تكاليفها البيئية أيضا — وذلك بفرض سعر على انبعاثات الكربون وغازات الاحتباس الحراري الأخرى. ولا بد لنا من إلغاء دعم الطاقة الذي يشجع على مواصلة البحث عن مصادر جديدة للوقود الأحفوري أو يدفع إلى فرط الاستخدام والهدر — مما يلحق الضرر بالطبيعة وصحة الإنسان على السواء. فقد خلصت دراسة بحثية أعدها صندوق النقد الدولي إلى أن الدعم العالمي الضمني نتيجة التسعير المنقوص للطاقة وتكلفتها البيئية بلغ ٥,٢ تريليون دولار، أو ٦,٥٪ من إجمالي الناتج المحلي العالمي، في عام ٢٠١٧.

التغيير يبدأ الآن

عندما يتعلق الأمر بمواصلة التعايش الحيوي بين عالم الاقتصاد وعالم الطبيعة، فإننا جميعا قادرون على بذل ما هو أكثر — ما هو أكثر بكثير. فالقطاع الخاص بوسعه التوقف عن مساندة الصناعات والأنشطة التي تضر بكوكبنا أو دعمها ماليا، والاستثمار بدلا من ذلك في التنمية المستدامة. وبوسع الحكومات تعميم سياسات مكافحة تغير المناخ وتدمير الطبيعة، من خلال تشجيع أعمال البحث والتطوير في مجال التكنولوجيا النظيفة، على سبيل المثال.

ولا بد أن يبدأ التغيير الآن، ولا بد أن يشملنا جميعا. وشباب اليوم يعي هذا الأمر — فلننظر مثلا إلى الشباب الشجاع من أمثال «غريتا ثانبيرغ» وآخرين. إنهم يطالبون الأجيال الأكبر سنا باتخاذ إجراءات آنية لوضع حد لتغير المناخ — لأن مستقبلهم هم هو المعرض للخطر. وبفضل هذه الأجيال الشابة، هناك أمل.

إن الطبيعة قادرة على الصمود. ولا يزال بوسعنا رفع بعض الضرر الذي أوقعناه على كوكبنا الثمين. لكن الوقت يوشك على النفاد. وإن لم نتخذ إجراء حاسما خلال فترة العشر إلى العشرين سنة القادمة فسوف يكون الضرر قد تجاوز نقطة التحول التي لا يمكن العدول عنها.

ولا بد أن نعمل معا وعلى عدة جبهات، ولا بد أن نبدأ الآن.

فليس منا من يرغب في مواجهة اللوم من أحفادنا حين يقولون: «كنتم تعلمون أنه يحدث، ولم تفعلوا شيئا حياله». FD

يستند هذا المقال إلى حوار بين **السير ديفيد آتنبره**، عالم التاريخ الطبيعي، والراوي في المسلسل الوثائقي «كوكبنا» من إعداد شبكة «نتفليكس» والصندوق العالمي للحياة البرية، و**السيدة كريستين لاغارد**، المدير العام السابق لصندوق النقد الدولي.

الصور: RICHARD BARRETT/WWF-UK; ISTOCK/SBAYRAM